



خطبة صلاة الجمعة 28 / 10 / 2016 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (الغيث والمطر)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان:34]

وقال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ \* أَلَمْ يَكُنْ أَوَّلَهُ مِنَ الْغَيْثِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة:68-69]

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك:30]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ أَوْ أَمَتَهُ تَزْنِي،

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» [البخاري]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ: لَوْ أَنَّ عِبَادِي أَطَاعُونِي، لَأَسْقَيْتُهُمُ

الْمَطَرَ بِاللَّيْلِ، وَأَطْلَعْتُ عَلَيْهِمُ الشَّمْسَ بِالنَّهَارِ، وَلَمَّا أَسْمَعْتُهُمْ صَوْتَ الرَّعْدِ» [الحاكم]

أيها الإخوة:

بمناسبة رؤيتنا طليعة خير الله ورزقه من الغيث والمطر أحببت أن أجعل خطبة اليوم عن (الغيث

والمطر)

ابن أبي الدنيا، حافظ للحديث، مكثر في التصنيف، كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما

يلائم طبائع الناس، إن شاء أضحك جليسه، وإن شاء أبكاه في آنٍ واحدٍ، لتوسُّعه في العلم والأخبار.

وَكَانَ مُؤَدِّبًا لَعَيَّرَ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ، مَوْلَدَهُ وَوَفَاتَهُ بِبَغْدَادَ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ  
لِلْهَجْرَةِ،

قال عنه الإمام الذهبي: (وَتَصَانِيفُهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا، فِيهَا مُحَبَّاتٌ وَعَجَائِبٌ.. ثم ذكر له أسماء أربعة  
وستين ومائة مصنف منها: "الفرج بعد الشدة" و "مكارم الأخلاق" و "قرى الضيف" و "العقل وفضله"  
و "قصر الأمل" و "من عاش بعد الموت" و "الصمت" و "قضاء الحوائج" و "القناعة" و "تجاني الدعوة"  
"المُحْتَضِرِينَ" و "محاسبة النفس" و "التوبة" و "الهم والحزن" و "الهدايا" وغيرها).

هذا وقد ألف ابن أبي الدنيا كتابا سماه (المطر والرعد والبرق والريح) جمع فيه أحاديث مرفوعة  
وموقوفة ومقطوعة، عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وفيه بعض الأخبار التاريخية  
المتعلقة بالمطر والرعد والبرق، وسأخير لكم شيئا مما رواه فيما يتعلق بالمطر من كتابه هذا:

روى رحمه الله بإسناده عن أنس بن مالك، قال: «أَصَابَنَا وَخُنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
مَطَرٌ، فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ثَوْبِهِ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
لِمَا صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «إِنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ»

وروى عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا مَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى  
أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»

وعن ابن عباس، قال: «مَا مِنْ عَامٍ بِأَكْثَرَ مَطَرًا مِنْ عَامٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»  
وبالمناسبة: يقول علماء طبقات الجو: إن كمية الأمطار التي تنزل إلى الأرض كل عام واحدة، لا  
تزيد ولا تنقص، ففي الثانية الواحدة يتبخر من الأرض ستة عشر مليون طن من الماء، ومعدل التبخر  
السّنوي 380 مليون مليون طن من المياه، وهي نفسها كمية المطر النّازل إلى الأرض كل عام لا تتغير  
ولا تبدل، ولو حدث فيها تغير أو تبدل لاختل النظام البيئي على الأرض، لكن الله تعالى يُصْرِفُهُ إلى  
أقوامٍ وَيُصْرِفُهُ عن أقوامٍ، يسوقه إلى بلدٍ ويمنعه عن بلدٍ، وما منعه إلا منع تأديبٍ لعلهم يرجعون.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان:50]

- روى ابن أبي الدنيا عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا  
اسْتَسْقَى قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبِلَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيئًا،  
مَرِيئًا، غَدَقًا، طَبَقًا، عَاجِلًا غَيْرَ رَائِثٍ، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍ» المريء الهنيء، والمريع هو المخصب، الغدق  
الكثير، طبقا يعني مالا للأرض مغطيا لها، غير راث أي غير بطيء.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَعَا فِي الْإِسْتِسْقَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبِلَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَأَنْعَامَكَ، وَأَخِي أَرْضَكَ الْمَيِّتَةَ»

وروى عن ابن عباس: (أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: قُمْ فَاسْتَسْقِ وَادْعُ رَبَّكَ، فَقَامَ الْعَبَّاسُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ عِنْدَكَ سَحَابًا، وَإِنَّ عِنْدَكَ مَاءً، فَأَنْشُرِ السَّحَابَ، ثُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا فِيهِ الْمَاءَ، فَاشْدُدْ بِهِ الْأَصْلَ، وَأَطِلْ بِهِ الْفَرْعَ، وَأَدِرْ بِهِ الصَّرْعَ، اللَّهُمَّ إِنَّا شُقْعَاءُ إِلَيْكَ عَمَّنْ لَا مَنْطِقَ لَهُ مِنْ بَهَائِمِنَا وَأَنْعَامِنَا، اللَّهُمَّ شَقِّعْنَا فِي أَنْفُسِنَا وَأَهْلِينَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا سُقْيَا بِالْعَةِ، طَبَقًا، عَامًّا، مُحْيِيًّا، اللَّهُمَّ لَا تَرْغُبْ إِلَّا إِلَيْكَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ سَعَبَ كُلِّ سَاعِبٍ، وَغُزْمَ كُلِّ غَارِمٍ، وَجُوعَ كُلِّ جَائِعٍ، وَغُزْيَ كُلِّ غَارٍ، وَخَوْفَ كُلِّ خَائِفٍ، فِي دُعَائِهِ لَهُ)

ولا يستسقاء سيدنا عمر بالعباس قصة أوردها ابن كثير في البداية والنهاية أحب أن أنقلها لكم:  
(عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَةَ عَامَ الرَّمَادَةِ سَأَلَهُ أَهْلُهُ أَنْ يَذْبَحَ لَهُمْ شَاةً فَقَالَ: لَيْسَ فِيهِمْ شَيْءٌ، فَأَلْحَوْا عَلَيْهِ فَذَبَحَ شَاةً فَإِذَا عِظَامُهَا حُمْرٌ فَقَالَ يَا مُحَمَّدَاهُ. فَلَمَّا أَمْسَى أُرِيَ فِي الْمَنَامِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ: «أَبْشِرْ بِالْحَيَاةِ، إِيَّتَ عُمَرَ فَأَقْرَهُ مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ إِنَّ عَهْدِي بِكَ وَفِي الْعَهْدِ شَدِيدَ الْعَقْدِ، فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ يَا عُمَرُ» ، فَجَاءَ حَتَّى أَتَى بَابَ عُمَرَ فَقَالَ لِعُلاَمِهِ اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَفَزِعَ ثُمَّ صَعِدَ عُمَرَ الْمَنْبِرَ فَقَالَ لِلنَّاسِ أُنْشِدْكُمْ اللَّهُ الَّذِي هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ هَلْ رَأَيْتُمْ مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ؟

فَقَالُوا: اللَّهُمَّ لَا، وَعَمَّ ذَاكَ؟ فَأَخْبَرَهُمْ يَقُولُ الْمُزَنِيُّ- وَهُوَ بِلَالُ بْنُ الْخَارِثِ - فَقَطُّنُوا وَلَمْ يَقُطِّنْ.  
فَقَالُوا: إِنَّمَا اسْتَبْطَأَكَ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ فَاسْتَسْقِ بِنَا. فَدَادَى فِي النَّاسِ فَخَطَبَ فَأَوْجَزَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَوْجَزَ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَجَزْتُ عَنَّا أَنْصَارُنَا، وَعَجَزَ عَنَّا حَوْلُنَا وَقُوَّتُنَا، وَعَجَزَتْ عَنَّا أَنْفُسُنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا وَأَخِي الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ .

وفي رواية البيهقي: عَنْ مَالِكٍ قَالَ: أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَسْقِ اللَّهَ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: إِيَّتَ عُمَرَ فَأَقْرَهُ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ مُسَقُونَ، وَقُلْ لَهُ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ الْكَيْسِ. فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَ عُمَرَ فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ. وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

وقال الطبراني: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي وَخَرَجَ بِالْعَبَّاسِ مَعَهُ يَسْتَسْقِي يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا قَحَطْنَا عَلَى عَهْدِ نَبِينَا تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِنَبِينَا، وَإِنَّا تَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

- وما روى ابنُ أبي الدنيا في كتابه المطر بسنده عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مُطِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا بِرَحْمَةٍ، وَلَا فُحِطُوا إِلَّا بِسَخَطَةٍ»

- وعن عطاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ مُوسَى: (يَا رَبِّ، هَذَا الْغَيْثُ لَا يَنْزِلُ، وَيَنْزِلُ فَلَا يَنْفَعُ، قَالَ: كَثْرَةُ الزَّيْنَا، وَظُهُورُ الرَّبَا) .

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ: لَوْ أَنَّ عِبَادِي أَطَاعُونِي أَسْقَيْتُهُمُ الْمَطَرَ بِاللَّيْلِ، وَأَطْلَعْتُ عَلَيْهِمُ الشَّمْسَ بِالنَّهَارِ، وَلَمْ أُسْمِعْهُمْ صَوْتَ الرَّعْدِ».

أيها الإخوة:

حتى يكرمنا الله بزيادة فضله ورزقه وحتى يعجل لنا بالفرج المطلوب من كل منا ثلاثة أمور:  
أولها: لزوم التقوى: قال تعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

ثانيها: الاستغفار والتوبة: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10-12]

وثالثها: التضرع والدعاء: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: 28].

والحمد لله رب العالمين